رواية

سَلَفيٌّ في الكافيه

د. علي بن حمزة العُمري

الأمة
دار الأمة للنشر والتوزيع

سلفي في الكافية

رواية

د. علي بن حمزة العُمري

ظنوه من بُعْد، شاباً
صحوياً ماضوياً درويشاً يقعد على الحصير،
ولكنهم اكتشفوا أنه طفل، يستقرأ التاريخ، ليرسم لوحة المستقبل!

سلفي في الكافية

رواية

الطبعة الثانية

إصدارات 2007 - 1428

© جميع حقوق النشر محفوظة

رقم الإيداع: 6241 / 1974

ردمك: 0699 - 94 - 922

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب؛
أو نقله في اي شكل أو وسيلة،
سواء كانت إلكترونية أو يدوية أو ميكانيكية،
بما في ذلك جميع أنواع تصوير
المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين،
أو أنظمة الاسترجاع،
دون إذن خطي من الناشر بذلك.

الأمة للنشر والتوزيع

مواقعنا المفضلة
www.alummah.info
www.maktabahacademy.net

لتواجد
لدى جميع المكتبات في الرياض
01/2481705
دار الأندلس الخضراء - جدة
02/6815027

للتواصل 01 2481905
02 6810576
e_mail : alomh@gawab.com

الموزعون 0554481905
0551177136

إهداء

إلى شيخنا القدوة . . عبدالعزيز بن باز - رحمه الله-
إلى أغلى هدية في حياتي . . أمي
إلى نبض القلب وبسمة الحياة . . أم حمزة
إلى صاحبي في سفري . . حمزة

علي

فاتحة

سلامٌ على بني آدم من عباد الله الطيبين، وبعد:

فهذه ليست مذكرات ذاتية، ولا حكايات شخصية، ولا قصص روائية، ولا نقولات تاريخية، وإنما هي مزيجٌ متجانس بين هذا وذاك!

قد لا تكون روايةً بالمعنى الفنّي النقدي، ولكن فيها من الروايةِ ألقُها، وصدقُها، وواقعيّتُها، وجاذبيّتها كذلك.

هذه الوريقات بوتقةٌ جامعةٌ.. فيها قَصصٌ وروايات سمعتها من غيري، وأحداثٌ عاصرتُ أصحابها بنفسي، ونقلتُ خبرهم بالسند المتصل عنهم، على أني لم أنقل إلاّ عن الثقة ممن عاصرتُ وصدَق عندي خُبرُهم خبرَهم. ولا أذيعُ سراً إن قلت: أنها ممزوجة بأطياف منّي مما جادت به الذاكرة، وانس به القلم، وأملاه الضمير.

كُتب مشروع الرواية هذا في مدينةِ الضباب (لندن)!

فهل لذلك سرٌ ما؟

لا أدري!!

ربما كانت أجواء (الحريةِ) العابقةِ هناك سبباً في تدفّقِ هذه الكلماتِ بسلاسةٍ، وعفويّةٍ، وصراحةٍ تبلُغُ حدّ المواجهة أحياناً.

وبعد...

فهذه قطعٌ من الوجدانِ، ومِزقٌ من الروحِ، وشظايا من تجارِبَ ومفاهيمَ وخبرات...

فإن صَفَا قلبُ قارئها، فحسنٍ وعيه، وطابت نفسه، فهو المأمول. وإن اغبرّت فهوُمه، وذهب في تأويلها يميناً وشمالاً فما على المحسنين من سبيل!

الفؤاد الشريد

كما سبَح في بطن أمه شهوراً عدة، ثم سبَح بين يديها يتقلّب شهوراً أخرى، سَبح كذلك منذ طفولته في أحضان الحياة التي تقلّبت به، فرأى فيها ما يحسّسه ببراءة الطفولة حيناً، وواجهَ فيها أحياناً ما يمنعه من وضع (حلاوة المص) بين شفتيه، فتنمو فيه بذور الثورة!

بدأ طفولته مسكيناً (قبل أن يفتقر)، وعاش لياليها وفي مخيلته صورٌ وأحداثٌ، لا تستطيع اكتشافَها أعتى الاستخبارات العالمية بتقنياتها العَالية! وإنما سيفصح عنها الله رب العالمين الذي يعلم دروب القلب وخباياه.

وأتمّ طفولته مسكيناً كذلك حين رأى المكر في سنٍّ مبكرة، ورأى السرقة، وشمّ رائحة العُصاة ولم يستنشق بعدُ طُهْر النقاء!

فتقدمت غربته مبكراً وعاش في «اللاشعور» ولم يدرك بعد أنه غير مكلف.

كان يفهم ما يحيط به من عنف أبناء الجيران، والتعدي على المدرسين، وسبِّ الصاحب الهارب، وما تفرضه شاشة التلفزيون، فتَحصْرَم قبل أن يتزبّب!

وضّأ قلبه بالهموم والأكدار، وتمنى أن لم يعلم بحاله أحد، وهو بَعْدُ لم يُكلّف!

وحين طرقَ عصرُ الفضائيات الأبوابَ ورأى الدسائس الماكرة في قنوات الأطفال، وشاهد بأم عينيه محمد الدرة، وإيمان حجو، وهدى غالية أدرك

أنّ زمنه ليس متميزاً بما أصابه من مكر ودسائس، بل إنّ عصره الجديد كشف بالصور ما كان مكتوماً في الصدر!

وعاد الطفل مرة ثانية يتذكر زمانه...

فلا يكاد يستغرق في لحظات التأمل حتى تهزه آلام تمحو كل لحظات الحبور.

وأولها عندما يتذكّر صفعة الوجه من يد معلمه الذي دُعي إلى حبه وتبجيله في أول يوم من أيام المدرسة، وقد عاد بعدها إلى بيت أبويه وعويله يُفجِّر كل كيانه، وكلما سُئل عن سبب بكائه قال: المعلم!!

أراد أن يغادر طفولته حرّاً لكنه لم يُطق ذلك!

فهو طفل ويجب أن يكون طفلاً إلى أن يقرر أهله فكّ قيده!

يجب أن يكون طفلاً فلا يجلس في مجالس الكبار، ويجب أن يكون طفلاً فيثق بكل أقربائه أكثر من ثقته بنفسه، ويجب أن يكون طفلاً فيتعلم قواميس المرحلة، المشهورة نطقاً المهجورة ذوقاً... والتي حفظها أكثر من حفظ القرآن!، «اُسْ، ولا كلمة، ولا حرف»!!

ويجب - وإن كان طفلاً - أن يُضرب ويُشتم وأن يقال له: «يا حمار»!!

وربما كان الشيءُ الوحيد الذي يتذكّره جيداً، ويجلب له مقادير من السعادة والطمأنينة، ويشعرُهُ أنه موجود فوزَ الفريق الذي تشجعه الحارة، ويرفعُ أعلاَمه أهلُ البيت فحينئذ فقط يُسمحُ له بما لم يكن يُسمح له به من قبل.

ولربما كانت هذه الفرصة الوحيدة التي سَمحت له أنْ يخرج مع أقاربه إلى الملعب ليثبت أنه ليس طفلاً، وأنّه قادر على رفع صوته، والاختيار الحر لمن يمثل رأيه ولو بالوكالة!

غيمة لم تمطر في قريته

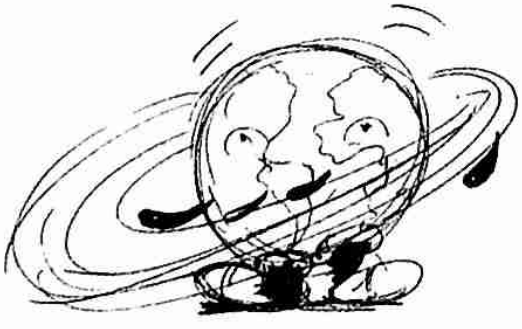

قادته الأقدار إلى أن يسافر إلى مدينة الشارقة ليحضر مؤتمراً بعثه إليه رئيس عمله، فلفت نظره عند باب الفندق الذي يسكن فيه باص مكتوب على زجاجه الخلفي (مؤتمر شورى أطفال الشارقة)!!

تنهّد طويلاً مع زفرات حرّى عند رؤية هذا المنظر..!!. وعادت به الذاكرة إلى موقف آخر عندما زار في رحلة عمل مدرسةً في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لفت نظره منظر غريب ! لقد شاهد اجتماعَ عمدة الحي مع مسؤول في الشرطة ورئيس البلدية، وكانوا جميعاً بحضرة المشرفة الاجتماعية بالمدرسة مع أبوين مسلمين!!

فسأل صاحبنا أحد المدرسين: ما الأمر؟ قال: إنه اجتماع دوري يكثر أعضاؤه ويقلون حسب الحالة! قال: وما الحالة التي دعتْ هؤلاء المسؤولين أن يتركوا مهام عملهم ويحضروا للمدرسة؟ فقال: الأمر باختصار، أن أحد الطلاب - وهو أحد أبناء العوائل المسلمة - بدت عليه علائم المشاغبة المزعجة في المدرسة. فقال: وما شأن الشرطة؟ هل ارتكب جريمة، ثم ما شأن البلدية؟ هل تعدّى على ممتلكات معينة؟.. فقال: لا لا، كل ما في الأمر هو البحثُ عن مكمن الخلل، فقال: مافهمت. قال: الأمر يا سيدي أن هذا الطالب ربما كان سببَ مشاغبته وعبثه عدمُ توفر البيئة المناسبة في حيه

من ملاعب أو مرافق عامة كالمنتزهات، فالسؤال البديهي المباشر سيكون لرئيس البلدية، ولربما كان الخلل في اختلال نظام الحي الذي يسكن فيه وعدم توفر جو الطمأنينة، فالسؤال سيطرح على عمدة الحي أو مسؤول الشرطة، وربما يكون الخلل لدى الوالدين وعدم رعايتهما له بالشكل الكافي! والقانون يسمح للأخصائية الاجتماعية في المدرسة أن تجتمع بكل هؤلاء لتحليل مشكلة الإزعاج عند الطالب، ومعرفة مكمن الخلل وسبل العلاج.

فليس شرطاً أنّ الطالب المشاغب سيكون شريراً أو عنادياً أو ناقماً في مجتمعه، بل لربما كان الأجدرَ بأن يكونَ مواطناً نافعاً لو روعي وضبطت مشاعره. ولذا حرصت الأخصائية المربية على الاجتماع بهؤلاء لمصلحة الطالب أولاً وأخيراً..!

وما إن أرخى الستار على هذا الموقف الذي استدعته الذاكرة سريعاً، حتى أطال تنهّده، وخرجت من صدره آهات مكتومة، كالطفل الشارد الذي لا يستطيع أن يفصح لأهله عمّا أصابه، فلم يجد إلا الآه صدىً حلواً يخفف من خفقان القلب، وارتجاج الصدر.

ثم سكنت نفسه قليلاً حينما تمتم بالرحمة وطلب المغفرة للمرحوم (محفوظ النحناح) الذي قال لقياديي الشباب في بلاده: احرصوا على المشاغبين من أبنائكم وأحسنوا رعايتهم، فإنهم الذين سيبقون معكم إلى نهاية الطريق!

على المرجيحة

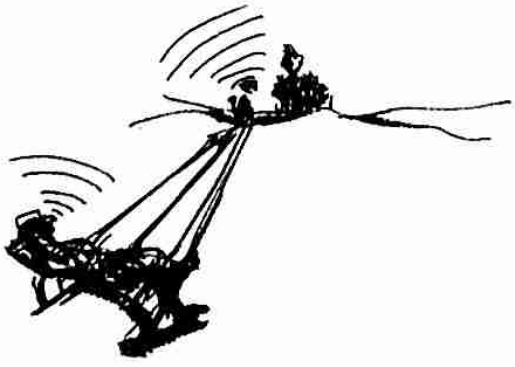

ليس ممن يلبس النظرات السوداء، وعليه فليس كل طفولته محزنة أو محاطة بجدران الكآبة!

فإنسانية أهله وطبيعتهم الطيبة، وثقتهم به أحياناً، كان لها أثر بالغ في تذكّر لحظات جميلة خاطفة.

الحضن الذي كان يتلقاه بشكل دوري، وتبادل لعبة (الضومنة) و (الشطرنج) و (الكوتشينة) مع إخوانه كان يسيل لعابه لها.

وبدأ يحترف في جمع الطوابع والعملات كمهارة تظهر قدرة الطفل على كسب الآخرين، وفن التقاط أقدم العملات.

وللأعياد نكهة خاصة حيث يرقى إلى أجواء السماء محلقاً في (مرجيحة) الحارة التي يعدَّها (أبو صالح).

وربما خرج مع أولاد الحارة أحياناً إلى (باب شريف) ليأكل أشهر طبخة شعبية آنذاك وهي البيضِ المسلوق الذي يعدّه (أبو قامش)، وقد يختم يومه بتناول العشاء الشعبي الأشهر (فول عم عبده)، وإذا سنحت الفرصة فمن (فول الأمير) لأن غرفة الجرّة غالية، وهي بتسعيرة اليوم (خمس ريالات سعودية).

وللعبة (البرجون) التي تتطلب مستوى من التهديف، والطلوع على (البطحة) - كوم من التراب - ليحفر بيده البريئة مساكن ذات قبب وأشكال

هندسية بديعة أثرها، وإذا ما خيَّم الليل هدم ما بناه طول النهار، مع أداء السمفونية الشهيرة (بَطَّلْنَا بَطَّل عُبيد، جَا الحرامي سرقَ البيت)!!

وهنا يحلوا المرور على (الحجَّة) لشراء (حلاوة بقرة) ببضعة قروش، مع التلذذ بلحسات من إسكريم النجاح عند القدرة!

ومرَّت المرحلة بسلام..

فهي على جمالها وروائع ما فيها، إلاَّ أنها ما كانت تخلو من أفلام هندية وكوميدية!

إنها فترة من أخطر فترات العمر، مرَّ فيها بأطفال احترفوا السرقة، والعبث اللاأخلاقي، تغذِّيهم الأفلام المصرية صباح مساء، وتختم كوكبة الشرق أو عبدالحليم ما تبقى من خيوط الليل، ليستصبح على (فتَّحي يا وردة)... وهكذا دواليك.

وكان البيت المتطور، هو ذلك البيت الذي يظهر فوق سطحه (الأنتن) الذي يجلب القناة المصرية بصعوبة!!

وكان البعض يخفيه كما كانت تُخفى صحون الفضائيات أول ما ظهرت!

لا يدري لماذا يهتم بالحديث عن هذه الفترة أكثر من غيرها....

هل لأن الدراسة الابتدائية ما كانت أحسن حالاً مما كان يشاهده في الحارة؟ ربما!

أو لأن المحفوظات والابتكارات التي سمع عنها مؤخراً والتي يتلقاها أطفال اليابان، وبها صنعوا احضاراتهم لم تكن موجودة في مدرسته، حاشا (الشيطنة) في لعبة (طاق طاق طاقية)!!

المهم أنه صح لديه العزم على أن يهتمَّ بأبنائه في مرحلة طفولتهم بما لا يخطر على بال.

فلربما هزته زيارته لموريتانيا عندما رأى الأطفال الصغار الذين يحفظون القرآن والحديث والمعلقات، ولربما صُدم بمجلس شورى الأطفال في الشارقة، ولربما أبكاه موقف الطفل في المدرسة الأمريكية... وربما وربما وربما.....

لقد بنى من هذه المواقف مرتكزاً لتربية أبنائه الصغار ليكونوا حُلُم الجيل القادم!

رتوش

.....

يتصبّبُ عرقه كلما تذكر العلوم التي حفظها في نهاية المرحلة المتوسطة...

والتي لو استطاع أن يعبّر عنها (الرسام السريالي) لماجتْ به الصورة دون رؤية واضحة!

كل الذي حفظه (رتوش)...

وكل الجعبة الفقهية فتاوى الإذاعة والورقات اللاصقة، وما يتناقله المحبون في المجالس، صحت الرواية أو كانت كأخبار بني إسرائيل!

نعم قرأ معالم على الطريق، وكتابات المودودي مع كتب تراثية منوّعة كالمستطرف للإبشيهي، وغيره، وجملةً من أحاديث جامع الأصول التي أهداها محقِّقها، وهو في نهاية المرحلة المتوسطة وبداية المرحلة الثانوية، ولكنه مع ذلك لم يقتنع بأنه سلك الطريق!

وربما كانَ الذي هيّجه هديةٌ بعث بها صديق وهو في (الصفّ الثالث المتوسط)، كانت عبارةً عن مجموعة خطب الشيخ: عبدالحميد كشك، تلك الخطب التي أدمنَ قراءتها، واستظهرها تماماً.

ثم عرّج على حلقات الشيخ: الطنطاوي في مذكراته، وقرأ عن سيرته العطرة، ومغامراته البطولية، ولعبت الصور مؤخراً في سيرته المطبوعة

لعبتها، فصارت الثقافة العامة والخاصة، والعربية والدولية مورداً لديه للمعرفة، بعد أن استوعب جيداً درس الانتقاء وسياسة الاختيار.

وتبقى الأرض دائرة

.....

لم يشارك في معركة السبحة وأصبع الصلاة، وهل الناقة اليوم تبرك على يديها أو ركبتيها، وهل الأرض كروية متحركة؟! ولم يأخذ مسطرةً وقلماً فيصنّف صاحب اللحية الطويلة والثوب القصير بأنه سلفي، وذا العِمَّة والسبحة الطويلة بأنه صوفي، والأحباب أصحاب الزيارات المنزلية بأنهم تبليغ، ومن حمل كتاباً لسيد وسمع نشيداً بأنه إخواني، كما أنه لم يصدِّق الفتاوى الجاهزة عن هذه الجماعة وتلك، ولم تقيّده حكايات شيخ المنبر، ولا عالم الدرس، ولا قصاصات داعية ألف ليلة وليلة. فهو نقي العقل بالفطرة، سلفي بالتربية، مدبلج في واقع الدعوة!

حضر معركة التراويح، وأحضرت له كتابات العلماء حول ضرورة التقيد بإحدى عشرة ركعة في الحرم المكي، ثم أهدي له كتاب عن الشيخ عبدالرحيم الطحان، وآخر عن جماعة التبليغ والإخوان، ولكنه مع كل ما سبق لم يقدِّس أحداً ولم ينتظر إشارة أحد، إنما ألهمه الله داعية مصلحاً ومربياً أديباً، أعاده لتربية شيخه الأول: عبدالقادر الأرناؤوط - رحمه الله.

فمضى على طريقة العلماء العاملين، والدعاة النيِّرين.

وكانت الأيام تزيده قناعة بفتوى شيخه الذي طالما اختلى به مرّات عدة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، والذي أخبره أن في الجماعات

الإسلامية خيراً ونفعاً، مادامت تدعو على منهج الكتاب والسنة، وتبلغُ النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تتعصّبُ لاختياراتها ونهجها وأتباعها.

زادته هذه الفتوى قناعة بوجوب التناصح والبعد عن التعصب، وبأنه سيلقى الله بإيمانه وإسلامه، وما بقي له من إحسان.

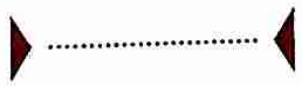

شيوخ جما

.....

لم تمرّ شبيبته بسلام!

فبعض الشيوخ - سامحهم الله - لم تتغير نظراتهم الدعوية ولا فتاواهم الفقهية ولا تحفظاتهم العقدية، مادام الأمر تحت السيطرة! حال بعضهم - وللأسف - كحال جحا، لما سُئل مرّة كم عمرك؟ قال: أربعون، وبعد بضع سنين سألوه مرّة أخرى، كم عمرك؟ فقال: أربعون!، قالوا: كيف؟!، قال: إنّ الرجلَ لا يغير كلمته!!!

لقد عُقدت جلسات، وقُرئت مجلدات، ومرّت طامات، ومع ذلك لم يتغير بعض البعض!

إذاً تغير البعض! نعم، لقد تغيّر البعض، وأدركوا أن الانغلاق على الذات، والاندماج مع من يعرفون، وحِرمان تلقي الثقافة من الآخرين، تسييج للفكر، وتركيب (للولب العقلي)!

ذلك اللولب الذي يمنح الآخرين الرأي الفقهي الأوحد بدءاً من حمل السبحة، وانتهاءً بتحريم الدخول في البرلمانات!

وبينهما رحلة من المتن التوجيهي الأوحد الجاهز للرجال والنساء، والطلاب والأكاديميين، وللمواطنين والمقيمين بل وللجاليات الإسلامية في أوروبا. ونسي هؤلاء أن (جُحا) مات، ودخل عصر الفضائيات!!

أيهما وجد أولا البيضة أم الدجاجة ؟

كان يستمع كثيراً إلى الإذاعة وبخاصة برنامج «أطروحة على الهواء»، وتخيّل نفسه مكان أحدهم، بل ربما تخيّل نفسه المناقش!

ودارت الأيام حتى وصل لمرحلة الدراسات العليا. كان هناك شيخ وقور يدرسه مادة العقيدة. فقال للطلاب يوماً: يا أبنائي مكثتُ في كتابة الرسالة قرابة عشر سنين، وفي كل مرّة أؤجل تسليم الرسالة! فسأله الطلاب ما السبب؟ قال: كانت تمرُّ بي حالات لا أتوقف فيها عن البحث والكتابة، وتمرُّ بي حالات أخرى لا أقدر فيها على كتابة حرف واحد. والطريف أن صاحبنا مرَّ بهذه الحالة تماماً!!

دخل المعمعة، وبدأ في البحث عن موضوع يناسب قدراته وعصره الذي يعيش فيه... ورأى العجب.

مواضيع قُتلت بحثاً!، وأخرى مركونة في خزانات الجامعات لا يعلم عنها أحد، وقليل منها ما هو قريب لحاجة الواقع، وأكثرها تكرار، بل فيها نتائج لا يقرُّها المتبصِّر بالعلوم، إما لأنها فُرضت على الباحث، أو لأنه استجاب لرأي أستاذه المشرف، حين طلبَ منه مراعاة مناقشيه، وبيئة الأرض التي يُناقش فيها!

ولأن طبيعته منصفة، تمنى لو تُرك المجال لأمثال بعض البحوث المتميزة، التي مرّت بسلام من ناحية الموضوع والفكرة، ولكن وللأسف، طُلب منه أن يبحث في شيء لا يخرجه عن قاعدة (أيهما وجد أولاً البيضة أم الدجاجة)؟ وربما سهّلت له هذه القاعدة أن يفكر بما أملته النفس الأمارة بالسوء بفعل ما صنعه الآلاف من توكيل الغير، وبما أن نفسه وتربيته أصيلة أبيَّة، وترفض التبعية السيئة، ظل يكتب حرفاً حرفاً، يبحث ويحقق، ويراجع ويقيد، ويستشير ويستنير، ويستعين بغيره، حتى تلذّذ بقيمة العلم.

وما شفى غليله وأراح ضميره إلا المجالسة الطويلة للخبراء والعلماء والمتخصصين الذين تصدقُ عليهم حكمتا أهل الحجاز (غلبونا بالفلوس فغلبانهم بالجلوس)، (وطريق النجاح الإخلاص والاختصاص).

وأدرك أن ليس هناك كبير في العلم، والروّاد نوادر، وقليل من يوافق عطاؤه جل عمله!

وأحسنَ لنفسه عندما جعل الأدب مع أهل العلم والنبل أياً كان مشربهم منهجاً لا يحيد عنه.

وارتقى مرتقا صعبا

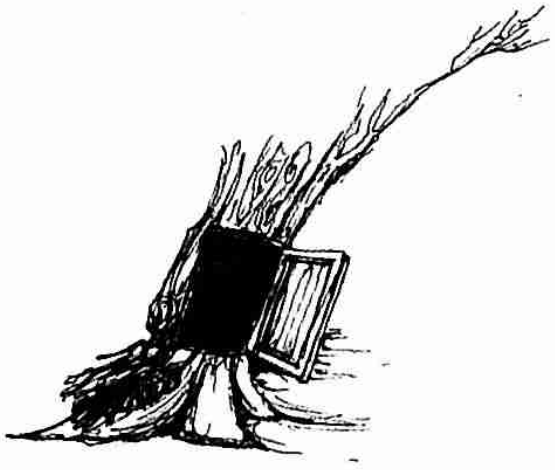

كغيره بدأ التدريس الأكاديمي والمسجدي بدون شهادات خبرة!
وما استوعبه جيداً من كبار شيوخه في التدريس، أن مهنة التعليم والخطابة هي مهنة الأنبياء!
فكم سهر على خطبه الليالي ذوات العدد، وكم جلس يقدِّم كلمةً ويؤخر أخرى ساعات وساعات وتحمّل ضريبة الحرية في مدرسة يوسف!
وكم درّس في التعليم الأكاديمي صغاراً لم يبلغوا الحلم، وكباراً في سن الرشد!
وما صبرّه في مرحلة التدريس الأولى الا قصة الطنطاوي (الدرس الأخير) عندما ودع طلابه قبل خروجه من بغداد. كما لم يثبته في تعليم الكبار إلا موقفٌ لم ينسه حينما اختير إماماً لجامع كبير، وخلاصته:
أنه استمع إلى مناقشة لجنة اختبار أئمة المساجد في جدة قبل بضع سنوات، وهم ثلاثة، أحدهم متخصص في التفسير، والثاني في الفقه، والثالث في العقيدة.
حيث دخل عليهم أحد الشباب الخريجين من كلية الشريعة بجامعة أم القرى، قسم الشريعة، ومن أبناء المملكة العربية السعودية، للاختبار تمهيداً لتعيينه في أحد المساجد.

فنجح خريج الجامعة في تلاوة القرآن، والإجابة على أحكام الصلاة «في المذهب طبعاً» ورسب في العقيدة!

وسبب الرسوب أن هذا الشاب لم يحفظ من شروط لا إله إلا الله إلا خمسة من سبعة!!

ولما حاول الطالب كدّ ذاكرته لإكمال الشرطين الباقيين – والذين يحفظهما طبعاً – وبدون جدوى، قرر الشيخ مسؤول مادة العقيدة: ترسيب الطالب لعدم نجاحه في العقيدة!!

وطبعاً المطلوب منه حفظ هذه الشروط لتصحّ إمامته، ولو كان خريجاً من كلية الشريعة بمكة المكرمة، وعلى أيدي كبار علمائها! علماً أن هذا الطالب لم يُقبل في الاختبار إلا بعد أن أحضر تزكيات من ثلاثة مشايخ معروفين بسلامة العقيدة، ليكتبوا له أنه صاحب عقيدة صحيحة!

ومع هذا لم تشفع شفاعة الشافعين. فلم يدر هل المشايخ الذين زكّوا الطالب خانوا الأمانة في اثبات عقيدته، أم أن المشايخ لم تصح عقيدتهم أصلاً؟!

ويذكر صاحبنا أنه قال يومها للشيخ المدرس لمادة العقيدة: أنت تعلم ياشيخنا أن المسلم غير متعبّد بحفظ هذه الشروط، إنما المطلوب منه أن يفهم معانيها، وإلاّ لفسدت عقيدة أكثر من (٩٥٪) من المجتمع السعودي في أرض التوحيد!

وأولهم أبوك وأمك وأدناك ثم أدناك! فهلاّ يا شيخنا أحضرت الطالب، وسألته عن هذه الشروط، وقلتَ له مثلاً: ماذا تعني كلمة الإخلاص عندما يقول المسلم لا إله إلا الله محمداً رسول الله ؟، واسأله «تجاوزاً» هل تقول لا إله إلا الله عن محبة وانقياد وقبول ؟!!

هل من المعقول ياشيخنا ألا يفهم الطالب هذه المعاني؟ سكت الشيخ قليلاً. ثم قال الراوي، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم، « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» ؟

ألم يقل الرجل المشرك في المعركة لأسامة بن زيد رضي الله عنه، لا إله إلا الله، والسيف مصلت على رأسه، فحزّ أسامة رأسه، وقال للنبي صلى

الله عليه وسلم، ما قالها إلا فرَقاً من السيفِ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «وما أدراك، هلاّ شققت عن قلبه» ؟!

ألا يكفي قول البخاري في هدي الساري، «الامتحان في الاعتقاد ابتداع »؟ وقطعاً هذا للمسلمين الموحدين أصلاً، لأنه لاداعي لامتحانهم، إلا من لم يُعرف منهم لحاجة مّا كما في حديث عتق الجارية.

إننا أيها الشيخ بأمس الحاجة اليوم إلى تعليم الناس حقيقة الإيمان، لأن «الإيمان أن تؤمن» وليس الإيمان أن تحفظ! كما في حديث جبريل عليه السلام، « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . .».

وتخيل صاحبنا لو أن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كان بيننا واختبر هؤلاء الطلاب، وهو من يستصحب قاعدة «الصلاة خلف المسلم مستور الحال» فما عساه أن يقول لخريج الشريعة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة المزكّى من ثلاثة من مشايخها ؟!

وزعم مرّة أن شيوخ التدريس، لو لم ينتخبوا من النصوص ويشوشوا على أصحاب المذاهب المختلفة لظهر المبدعون من عقود طويلة!

نقطة .. من أول السطر

.....

شاهد في بداية الثمانينات الميلادية فيلماً وثائقياً عن دور المقاومين لإخراج المستعمر الفرنسي من سورية.

ولم تنضب مخيلته بعد من صورة الشاب المختبئ في بيت أهله تحت الأرض، يحمل هموم وطنه..

جِلْسته على الحصير تحت الأرض لا تُنسى، والمغني يترنم بقيثارة الحزن: يا ظَلام السجن خيِّم إننا لا نخشى المنون!

وكم من مرة اسْتُجوبَ والداه، وهم على خط الصمود.

ما زال بعدُ صغيراً على هذه المحن والهموم، ولكنْ هل تغيّر حال الأمة وحال الأعداء حتى يَنسى؟ ولا يدري لماذا نسي الكثير مما شاهد وبقيت أمثال هذه المشاهد حيةً في مخيلته؟!!

وكَبُرَ، وقرأ في الروايات والذكريات، مالا تحلو صفحاتها إلا بالاستجواب والمغامرة، على حد قول محمد بن راشد آل مكتوم (أكبر المخاطر ألا تخاطر)!

أحياناً يقرأ في بعض الذكريات ما يجعله يلعن بلا وعي، وأحياناً يفرح حتى لا يشعر، لما آل إليه حال أولئك المنكوبين في جدران القهر والمادة من نجاحات وبقاء في الحياة!!

ومرت به الأيام، ولحقه ضعفة النفوس فاتهموه ووشو به فاسْتُجوب!
وبدأ رحلة: نقطة .. من أول السطر.
لأنه مسالم، وغير إرهابي، ولم يدخل قسمَ شرطةٍ من قبل، فقد ظلّ يربط ما قرأ بما عاصر، وهذه حيلته ليتصبّر.
رأى المجرمَ والبريئ، رأى الظالم والمظلوم، رأى المنافقَ والصادق، وحملَ على ظهره كهولة سنين في بضع ليال!!
سأله المحقق بعدما تأكد من صدقه، هل تحتاج شيئاً في زنزانتك؟
فكتب له في ورقة التحقيق: ما أضيق العيش لولا فسحة الحُلُم!!
ولم يفهم إلا حينها حديث النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر).
صحيح أنه قرأ معالم في الطريق في آخر المرحلة المتوسطة، إلاّ أنه لم يكن يوماً عنيفاً أو مشوشاً، حتى وإن لم يقبل برواية العلامة القرضاوي في الشهيد سيد!
وخرج بما كان يؤمن به من قبل، بخلاصة هي عين ما حكاه له صاحبه، عندما زار الشيخ محفوظ نحناح - رحمه الله- قبيل وفاته بثلاثة أيام فقال له: يا أبا أسامة، أحمد ربي أن يأتيني أجلي وألقى الله، وأنا نظيف القلب، نظيف المال، نظيف النفس، نظيف اليد! (أي لم يدخل في عنف دموي).
وبقي صاحبنا ينقل التجربة لأبناء جيله، ويوضح الطريقة النبوية السليمة في الدعوة السلمية لمجتمعه.
وتمنى لو فُسح المجال للعقلاء كي يحتكوا بالشباب المتحمِّس ليرووا لهم الأخبار، ولكنْ لم يكن الأمرُ باليد.
فما عساه إلا أن يكتب أو يحاضر لليوم والغد!

في حضرة الشيخ بن باز

.....

بَدَأت المعرفةُ بالشيخ العلامة عبد العزيز بن باز من خلال سماع برنامجه الشهير (نور على الدرب) والذي كان يواظب على سماعه أسبوعياً.
ومنذ بداية دراسة (الأولى ثانوي) كان يتفق مع أخويه في الدراسة (أنور ونزار) على سماع البرنامج في موعده، ثم يتفقوا على المدارسة لأهم الأسئلة واستحضار أجوبة الشيخ عليها، وكان هذا في فترة الفسحة بعد يوم البرنامج!
وأحبّ الشيخَ حبّاً كبيراً حتى قرأ مجموع فتاواه بتمامه، وسجّل في إحدى الجامعات دراسة علمية فقهية شاملة لأبواب الفقه، مأخوذةً من مؤلفات وفتاوى الشيخ - رحمه الله -.
وجلس بين يديه مدة في درس بلوغ المرام، ومن ثمّ لم يتأخر عن محاضراته ولقاءاته، وخصوصاً في الحجاز.
وربما كانت له ميزة أنّ الشيخ ماكان ينزل إلاّ في بيت قريب له، فصحّ له أن ينفرد به مراراً، ولن ينسى آخر جلسة معه، قبل وفاة الشيخ ببضعة شهور، إذ جلس بجواره يحدِّثه عن إنهاء بعض أبواب مشروعه الفقهي الخاص به، فسُرَّ الشيخ، وطلب أوراقاً عن ما أنجزه. وبدأ صاحبنا بطباعة ما خطه بيده على جهاز (386)!!

وحدّث بهذا المشروع علماء ومثقفين فطاروا بالفكرة، ولم يأل صاحبنا جهداً، فجمع أشرطة الشيخ، وكل ما هو منثور بين جنبات التسجيلات المختلفة.

وجاءت الصدمة عندما كان في المدينة المنورة، فبكى كما بكى غيره، وكانت الليلة اليتيمة عندما قرأ الشيخ عبد المحسن القاسم في صلاة المغرب ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر، ٣٠، ٣١). رحمه الله رحمة واسعة.

وقد سأل الشيخ أسئلة كثيرة، تتفاوت على حسب المرحلة وأسئلة الصحوة التي تسخن بين فترة وأخرى!!

فمرّة جلس بجواره، وكان صاحبنا حزيناً على كتاب طُبع عن الشيخ عبد الرحيم الطحان، خطته يدا شيخ جليل لكنه عَجِل في كتابته تلك، فأخبر الشيخ أنه قرأ الكتاب الذي دفعه إليه أحد زملاء الدراسة ممن صار يُلقب بين الزملاء بأنه من طلاب الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله -!

فحدّث الشيخ حينها أنه قارن ما هو مكتوب بما هو مسموع من أشرطة الشيخ عبد الرحيم الطحان، فقال الشيخ: أُكتب لنا، أُكتب لنا.! وهي عادته الشهيرة - رحمه الله -.

وصَار أن حدثت محنة إخواننا في البوسنة والهرسك، فأراد أن يتابع الأخبار، ولم تكن الفضائيات وقتها قد حلّقت في أجواء الفضاء، ولم يجد إلا مجلة المجتمع الكويتية، يتابع من خلالها الصور والتقارير، فتبرع أحدهم فقال له: إن الصور محرمة، وبالتالي لا يجوز إدخال المجلة إلى البيت، وإن الشيخ بن باز حرّم المجلات التي بها الصور!

فراسَلَ القريبين من الشيخ ليعلم بالنبأ، فكذب الخبر الخَبَر، ثم اطلع بعد ذلك على رسالة خطية للشيخ كانت بينه وبين الشيخ عبد الله المطوع - رحمهما الله - وفيها:

فضيلة نائبنا في الرئاسة.. وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعده:

نشفع لكم برفقه الرسالة الواردة إلينا من رئيس جمعية الإصلاح

الاجتماعي الشيخ عبدالله بن علي المطوع، ومشفوعاتها حول تأخر صرف مستحق مجلة المجتمع من ١ / ٣ / ١٣٩٨هـ إلى ٣٠ / ٦ / ١٣٩٨هـ ومن ١ / ٧ / ١٣٩٨هـ إلى ٣٠ / ٦ / ١٣٩٩هـ بحجة أن الرئاسة لم تعمد المسؤولين عن المجلة بالاستمرار في الاشتراك خلال المدتين المذكورتين، ولا يخفى أن هذه المجلة من خير المجلات الإسلامية فيما نعلم صدعاً بالحق، ودعوة إليه، وإنكاراً لخلافه.

ولا يخفى أن الثقة المتبادلة بين الرئاسة وبين المسؤولين عن المجلة جعلتهم يرسلون الأعداد بانتظام، وإن لم يصلهم التعميد، ثقة بالرئاسة، وأنها سترسل ذلك.

ولا يخفى أن السهو جائز على الجميع، فاعتمدوا صرف مستحق المجلة عن المدتين المذكورتين، وتحويل ذلك إلى المجلة كالمتبع تحت مسؤوليتي والاستمرار في الاشتراك، والمبادرة بإرسال التعميد في وقته مستقبلاً من غير تراخ ...

وفق الله الجميع لما يرضيه والسلام.

وحضرَ مرّةً جنازة فوقف صاحبنا عند القبر، ورفع يديه ودعا للميت فقال له أحدهم: ما ورد! فقال: سأحدثك عند باب المقبرة!!

ثم بدأ بعضهم يدعون بشكل شبه جماعي، فرفع الرجل صوته .. يا قوم: ما ورد. وعند باب المقبرة، قال صاحبنا للرجل: ورد في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى أهل بقيع الغرقد ورفع يديه!

وقال له: سمعت عن شيخنا بن باز في درس بلوغ المرام، بأنه لو دعا أحد الناس عند المقبرة، وأمّنَ الحاضرون، فلا حرج! فقال شاب من الحضور: ولكن يا شيخ جماعي، قال الشيخ: ما يخالف!، يشتغلون بما يفيد.

وزعم صاحبنا أنه لو جمعت اجتهادات الشيخ بن باز المكتوبة والمسموعة، وطُبعت دون أن يُبيِّن قائلها، لعُدّ عند المتعجلين صوفياً أو خارجاً عن منهج السلف!

وزعم مرة أخرى أن لديه عشرات الفتاوى حول هذا المعنى، وقال: إنه سيخرجها يوماً ما!

وبعد، فهو يعلم أن الشيخ غيرُ مقدَّس، وأن الخطأ وارد، وقد سمع بعض اجتهاداته وكان الصواب في غيرها، ولكنه لم يزل مقتنعاً بأنه عزّ نظيره عالماً عاملاً للجميع بلا انتقاء، لا يخشى في الله لومة لائم!

لن
يفعلها الشيخان

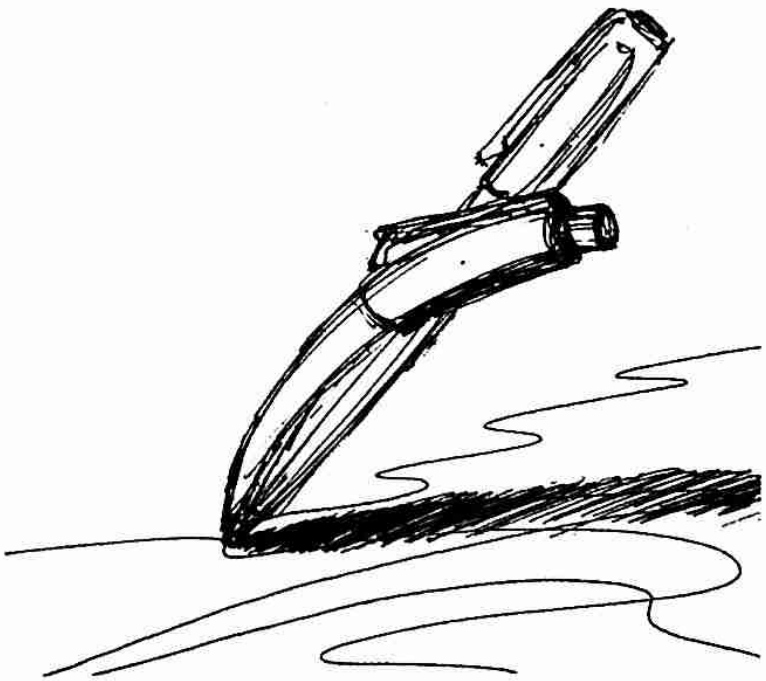

.....

حضرَ ذاتَ يو م لفندق (الأنتركونتيننتال) بمكة، أثناء فعاليات أحد المجالس الفقهية للمجمع.

وقد حصلت سخونة علمية في اللقاء، كان فرسانها في المنصة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ يوسف القرضاوي.

وكلما استشهد أحدهم بحديث استشهد الآخر بحديث آخر، وكلما استنبط أحدهم مفهوماً استنبط الآخر دلالة أخرى، وطال الحوار بين قول لفقيه، واستشهاد لغوي من بيت شاعر أو تقعيد تأصيلي...

وعندما ختم الشيخ بن باز الجلسة، نزل الجميع لصالة الغداء، وسأل الشيخ بن باز -رحمه الله- قبل البدء، أين الشيخ القرضاوي؟

قالوا: لم نره، ربما ذهب لأمر ما، فلنبدأ نحنُ ويدركنا.

قال الشيخ: بل ننتظره حتى يأتي، وبقي العلماء وأعضاء المجمع ينتظرون الدقائق المتتالية، والطعام دونهم، لم يبداوا تأدباً!!

واستمر هذا الحال حتى قيل للشيخ بن باز: سيبرد الطعام، والقوم ينتظرونك. قال الشيخ: لا، حتى يأتي الشيخ القرضاوي!

وبعد قرابة نصف الساعة، حضر الشيخ القرضاوي، فقال المقربون: هيا يا شيخ، قل للناس: (تموا، الله يحييكم). فقال الشيخ: أين هو؟ فاقترب الشيخ القرضاوي،

فأمسك الشيخ بن باز -رحمه الله- بيده، وقال: أهلاً بالشيخ العلاّمة!
وقصة أخرى شبيهة، للشيخ الفقيه: بكر أبو زيد - شافاه الله ورعاه- مع الشيخ القرضاوي، والذي جالسه في دورات فقهية متعددة.
وشاهد الروايتين ان صاحبنا قعد في مجلس صحوي عام، فقال أحدهم، لماذا لم يُنكر الشيخ بكر أبو زيد على أخطاء القرضاوي كما فعل مع غيره؟ فقال صاحبنا: لن يفعلها لا هو ولا الشيخ بن باز!!
فقيل: عجباً، أتشك في عدم إنكارهما وقولهما الحق؟ فقال: بل أشك أن يغيرا منهجهما السلفي العلمي الاصيل!!
قال أحدهم: ماذا تعني؟
قال: لقد جلس كل منهما مع الشيخ، وسمعا منه، وعلما بعلم البصيرة أن ما يقوله إنما هو عن علم واجتهاد لا عن هوى وتعصب، ولو لم يوافقاه في اجتهاده.
وصاحبنا يعلم علم اليقين أن هذا وذاك كل منهم اجتهد وأخطأ، وما من أحد إلا وقد رُدّ عليه بعض الراي.
وبقي السؤال الحائر عند صاحبنا....
متى يتجالس العلماء والدعاة مع بعضهم، فيخفضوا من حدة التوتر، وكتابة الردود وسخونتها غير الموضوعية؟
متى يتعلمون من الشيخ بن باز وأبو زيد والقرضاوي وعشرات أمثالهم، فقه المناصحة والمجالسة.
لقد كتب الشيخ الألباني عن الشيخ القرضاوي وكتب القرضاوي عن الألباني، ولكلٍ منهما آراء خرجت عن المجمع عليه عند الفقهاء! ومع ذلك كتب كل منهما عن الاخر ما يثلج الصدر، ويفتح الباب للنقاش المؤصل.
وبقيت مثل هذه اللقاءات التي حُرم منها كثير من الدعاة مع بعضهم البعض بشتى أطيافهم وصنوفهم سبباً للتمزيق والتفريق. وجزم صاحبنا أنْ لو جلس العلماء والدعاة بصدق وإخلاص وموضوعية ونصَفَة مع بعضهم لما ألّف كتاب ولا وزع شريط، إلا لمن جار على نفسه وخرج عن إجماع علماء أمته، بلا حجة ولا دليل!
وختم صاحبنا المجلس مع أصحابه بقوله: الازمة ليست في المنهج فهو واضح وضوح الشمس، إنما الازمة في التعامل!!

الفرزدق العلماني!

يحلو له بين فترة وأخرى أن يحمل أحدَ كتبه المفضلة في التاريخ، وهو (الاستيعاب) لابن عبدالبر.

وذات يوم جلس على ضفاف بحيرة في الشارقة وقرأ موقفاً للحسن البصري مع الشاعر الكبير (الفرزدق) وهم يَتبعون جنازة التابعي القدوة (رَجاء العُطاردي) حيث قال الفرزدق للحسن البصري: يا أبا سعيد، يقولون: اجتمع في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس، فقال الحسن: لستُ بخير الناس، ولستَ بشر الناس. ولكن ماذا أعددت لهذا اليوم من عمل؟ فأنشد الفرزدق بين يديه قصيدة مؤثرة، قال فيها:

ألم تر أن الناس مات كبيرهم ... وقد كان قبل البعث بعث محمد
ولم يغن عنه عيش سبعين حجة ... وستين لما بات غير موسد
إلى حفرة غبراء يكره وردها ... سوى أنها مثوى وضيع وسيد
ولو كان طول العمر يخلد واحدا ... ويدفع عنه عيب عمر عمرد
لكان الذي راحوا به يحملونه ... مقيما ولكن ليس حي بمخلد
نروح ونغدو والحتوف أمامنا ... يضعن لنا حتف الردى كل مرصد
وقد قال لي ماذا تعد لما ترى ... فقيه إذا ما قال غير مفند

فقلت له أعددت للبعث والذي أراد بـه أني شهيد بأحمد
وأن لا إلـه غير ربي هو الذي ميت ويحيي يوم بعث و موعد
وهذا الذي أعددت لا شيء غيره وإن قلت لي أكثر من الخير وازدد
فقال لقد أعصمت بالخير كله تمسك بهذا يا فـرزدق ترشد

وبقي صاحبنا بعد قراءة هذا الموقف يتأمل في أمواج البحر المتلاطمة، وما بداخله من حياة وأسرار، لا يعلم بما فيها إلا خالقها.
وعاد إلى نفسه بعد التأمل في درس الحسن البصري المسطور، ودرس البحر المنظور، يتحسّر على مدى الفجوة التي صُنعت بين جيل ما يُسمى بـ(الملتزمين) في ظواهر الحياة، وبين غيرهم ...
والتقطت الذاكرة لقطات سريعة لابن صحوي هجر أباه لأنه يصلي في البيت، وآخر ترك بيته لأن أهله لم يغيروا مرة قناة المسلسلات، وثالث لا يؤجر عمارته لحليق، ورابع لا يزور قريبه المدخن، وخامس لا يبتسم لشباب غافلين ....، وطابور من القصص التي تروى ولا تطوى!!
وكم دمعت عيناه عندما تذكر موقف أبي حنيفة مع الشاب شارب الخمر الذي كان يغني بصوت عال: أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا، ليشوّش على أبي حنيفة صلاته بالليل، فلما مرض الشاب، عاده أبو حنيفة، فاستغرب الشاب، فقال أبو حنيفة: فقدت صوتك بالليل!، فتاب الشاب من حينها: فقال له أبو حنيفة مداعباً: يا ترى هل أضعناك؟!
وتدمع عيناه مرّة أخرى كلما تذكّر قصة معروف الكرخي الذي قال عنه الإمام أحمد: وهل العلم إلا ما وصل إليه معروف؟!
وذلك عندما خرج مع تلاميذه جهة نهر دجلة، فرأوا شباباً يضربون بالطنابير على النهر. فقال التلاميذ: يا إمام، ألا تدعو عليهم، وهم يعصون الله فوق أعظم مخلوقاته.
فرفع معروف يديه إلى السماء وقال: اللهم كما أفرحتهم في الدنيا أفرحهم في الآخرة!!
إن البسيط هو الذي يظن أن هذا تمريرٌ للمنكر، أما الفقيه فإنّه يفهم أنَّ

معروفاً كان يستثمر كلماته المحدودة بالدعاء لهم بالهداية، فما (نحن إلا دعاة لا قضاة) كما قال سيدُ الشهيد - رحمه الله- .

وقرأ صاحبنا عن الشيخ عبدالرحمن السعدي أنه مر على أبنائه وهم مع فتية يشربون الدُّخان، فلمحوه، ورأى أن الرسالة وصلت، ولما دخلوا عليه وسلّموا كأنّ أمراً لم يكن.

واتصل به شاب محب للمعروف منكراً على والده الذي يصلي في البيت، وأن ما بينه وبين المنافقين إلا شعرةً!، وذكّر الراوي بحديث (ابن أم مكتوم الأعمى) الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: أجب!

فقال له الراوي: انصحه بالمعروف، وصلاته صحيحة لحديث (عتبان الأعمى) الذي أذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي في بيته!

فقال الشاب منفعلاً: هل هذا حديث صحيح؟

فقال الراوي: ابحث عن راوي كل منهما، وسترى!!

وتلاحمت الصور تباعاً في مواقف النبي صلى الله عليه وسلم من ابن أبي سلول ووداعه عند قبره، ومع جاره اليهودي الذي طالما زاره في داره إلى أن أسلم، ومع شارب الخمر الذي أشاع عنه النبي صلى الله عليه وسلم: أنه يحب الله ورسوله!

إن أخطر ما في منهجية الجيل الصحوي أن تتجزأ لديه فهوم الإسلام، وتصل إليه المواضيع الخطيرة كالهَجْر والإنكار، تفاريق وتمازيق!

فلا يدري متى يُنكر ومتى يَأمر؟ ومتى يَنصح ومتى يَهْجر؟

فضلاً عن فهم قاعدة ابن تيمية الحرّاني: ردك في المسائل الخلافية هو من باب الأمر بالمعروف لا من باب النهي عن المنكر!

ومع ما فهمه صاحبنا، فهو يقدِّر أن الدين ليس تلافيق ولا دروشة، ولا طقوس ولا طرطشة، بل هو تكاليف وأعباء، ولكل مقام مقال، وأبواب الجنة واسعة، وهي درجات، ولا يطيق أبوابها الثمانية إلا قليل.

وهو لا يرضى بالغش والنفاق ولا التسلط ولا مسوح العلمانيين، ولا يرتضي ترهات الصوفية الشاطحين، ولا خزايا الطابور الخامس بين المسلمين.

فهو في الجبهة الأولى لحماية الدين وحراسة العقيدة.
ولكن لن يقبل أبداً أن يخرج عن الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، طال الزمن أو قصر.

جار ومجرور

صار من الصعب احتكار الأفكار الجيدة، ومصادرة الآراء المتميزة، كما صار من السهل اختراق القناعات القديمة، والهروب من دائرة المساءلة.

تياران عنيدان مرّا على فكر الصحوة. هكذا يروي الراوي.

تيار ظالم أو مظلوم. هكذا يقول!

وتيار تنويري أو هروبي. هكذا يُقال!

أما الأول فقد دخل في صراعات دموية، بعفوية تكره التخطيط، وفوضوية تكره النظام، وفتاوى ترفض التنويع، ومغامرات تفتقد التصويب، وحماسة تشتعل بسرعة وتنطفئ بسرعة. ثم ليكن ما يكون، وهذا هو ظلمهم!

وأما أنهم مظلومون، فهم يرزحون تحت القاعدة الدولية (جار ومجرور)، فيزعمون عدم وجود نُظم عربية، أو سياسات دولية، تراعي الخلق، وتحفظ الحق.

فحلال كان بالأمس صار حراماً اليوم، وحرام كان بالأمس صار حلالاً اليوم.

ولذا فقد سافروا وغادروا، وحلوا وارتحلوا، واسْتُقبلوا وودعّوا، فاكتشفوا أن المسموح صار ممنوعاً، وأن الممنوع صار مسموحاً!

وكل ما لديهم قلب طيب، ونية صادقة، وفتوى على النت، وشريط يُسيل الدمع، وقنوات تَفْضح ساسةً متخاذلين، وتُظهر قوى المتخالفين الظالمين.

وبقوا في سلسلة (جار ومجرور).

فمرة تجرهم سياسات الدول، ومرة يجرهم الإعلام، ومرة تجرهم طبقة مشيخية متنوعة المشارب .. واستمروا على هذا الحال حدثاً بعد حدث!
وعقّب صاحبنا على مجرى الأحداث، أنّ قوماً اعترفوا وعادوا، وأنّ آخرين لم يريدوا أن يعترفوا. فسأل الله أن يسلّم الجميع، ويرزقهم الوعي والبصيرة، وحسن التعامل، والرقي لنهضة متميزة. لا نفاق فيها ولا تخاذل، ولا تفشي فيها لأمراض النهب والتعري والقوانين الوضعية، والعقلية المتآكلة، ونظرية السيطرة من الميلاد إلى الغياب!
هذا عن التيار الأول. فماذا عن التيار الآخر؟
لاحظ الراوي أنه تيار أراد الاستقلالية، والتفرّد بالقرارات والإنجازات الكبيرة، ومن ثمّ استهجان طرائق الدعوة القديمة، والأخذ بالفتاوى العصرية الجديدة. بدءاً من الموسيقى، ومروراً بالسينما، وختاماً بمشروع غوار (كل مين إيدو إلو)!
فصارت حياتهم ومجالسهم، بل وحتى أحلامهم، يجب ويجب ويجب، ولماذا ولماذا ولماذا، وأنتم وأنتم وأنتم، وأين وأين وأين، وغيّروا وبدّلوا، وطوّروا وجدّدوا، وشيلوا وحطوا.
فصاروا كالمنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى.
وطاب لبعضهم أن يسمي نفسه (خبير استراتيجي)، أو (ناقد دعوي)، أو (مفكر نهضوي)!!
ولذا يتشعبون في كل شيء، ويتكلمون في كل شيء، وينقدون كل شيء، ويكتبون بيانات عن كل شيء، ويوقعون على أي شيء!، ولكن من المستحيل أن يعملوا وينقدوا في آن واحد!!
فهم لم يعيشوا كبقية الصحابة وسلف الأمة، الذين جَلَدت ظهورهم وقرّحت أفئدتهم المحن والأحداث، ومع ذلك لم ينفردوا برأي، ولم يستقلوا عن رأي الأكثر .. بينما هؤلاء لا يحلو لهم النقد إلا في مجالس خاصة، أو لمنشئي الجيوب الأنانية!
وكم أضرّت هذه الفقاعات التي قد تطفو ويظن أنها الأبرز، وما تلبث أن تنتهي.

والغفلة كما يقسِّمها الراوي على نوعين:
غفلة قلبية وغفلة عقلية!
أما الغفلة القلبية فهي التي تُنسي الإنسان أنه ضعيف، ومحاسب على كل شيء. وأما الغفلة العقلية فهي التي تنسي الإنسان أن الشيطان يحب الفرقة والوحدة، لتطول الوحشة. إلى هذين المعنيين قصد المربي الذي يذيع الراوي بيته الشهير:

لحظة يا صاحبي إن تغفل ألفَ ميل زادَ بُعد المنزلِ

وحرصَ الراوي على أن يهتمّ بهذا الملف دَهْرَه، يجالسُ ويناصح، ويقرب بين لغة القلوب ورؤية العقول، فتراكمت لديه الأخبار والفهوم، ودوّن كتاباً مهماً من أثرى ما كتب، زعم أن في طبعه دويّاً!!
وخلص الراوي إلى أن بعض الناقدين على حق في كثير من مطالبهم، وأن الأكثر، ما ربّاهم داعية مخضرم، ولا عركتهم التجارب، أو خذلتهم أنفسهم!
فأما الأقل فيجب تجديد عملهم، لأن من سنة الحياة أنّ النفس تصل إلى شوط بعيد ثم تبدأ الملل، وإلزام المرء بعمل دعوي فترة طويلة من عمره مخالف لطبيعة النفوس، وما الكل على رغبة وحب لما آمنوا به، وصار هذا العمل رسالةً في حياتهم.
واستخرج الراوي حكمة لرجل من رجال السياسة والدعوة مفادها:
أن النفس تتوغل في تنفيذ ما تريد، لكنها حين تبلغ أقصى الأداء يكون الامتلاء بما رغبت وارادت، فتغترّ وتميل إلى الضد المعاكس، ما لم يتجدد العطاء، وتتلون الطرائق.
وقد شوهد في يوميات الحياة أنّ الإنسان إذا تناهى في الضحك بكى، وإذا تناهى في الغم ضحك، وإذا تناهى في العظة أهمل، وإذا تناهت العداوة استحالت مودة.
وفي حكمة ابن دريد: وكل شيء بلغ الحدّ انتهى.
وأراد الراوي أن يبعث نصيحة إلى هذا التيار من الدعاة قبل أن يغرقوا في وحل (الجار والمجرور) ثم يُصابوا (بداء الفراشة) إلى أن يصيروا من

أصحاب نظرية (الوهم)، وهي قطعة شعرية بليغة، شُرحت شرحاً دعوياً، لشاعر من معلمي الحرية المنضبطة، اسمه «امرؤ القيس ابن عابس» وهي وثيقة في «فقه الحرية وأدب النقد» يقول فيها:

أيا (تملك) يا «تَمْلي»
ذريني، وذري عذلي
فـــثوباي جِـــديـدان
وأرخي شرَكَ النعلِ
ومني نظرةٌ خلفي
ومني نظرةٌ قبلي
وقد اختلسُ الضربة
لايَدْمى لها نصلي
فإمّا متُّ يا «تَمْلي»
فموتي حُرّة مثلي

وهي أبيات أوردها ابن منظور في لسان العرب نقلها عن أخبار النحويين للسيرافي.

وهي قطعة نادرة من أدب «الحرية والتخطيط المدروس».

فهو يُعَلّمها أن لا تعاتبه، بل أن تنطلق مثله نحو ميتة كريمة.

فثوباه جديدان، وتلك كناية عن نظافة سيرته وطهره ونقاء أمره.

وله نظرتان: قبلية وبعدية، وتلك إشارة إلى وعي يملكه وبصر سياسي.

ويرخي شراك نعله: وهي إشارة إلى مشية خططية منهجية معتدلة ليس فيها افتعال وتهور.

ويسدد ضربته بفن، بحيث يقتل، ويسحب نصله قبل أن يعلق به دم متفجر.

فهو المتقن لفن «تحريك الحياة» فلماذا الوجل والانفراد، والجماعة بركة ؟، فإن كان موت: فعلى صاحبته إكمال شوط الحرية . . !

حلام

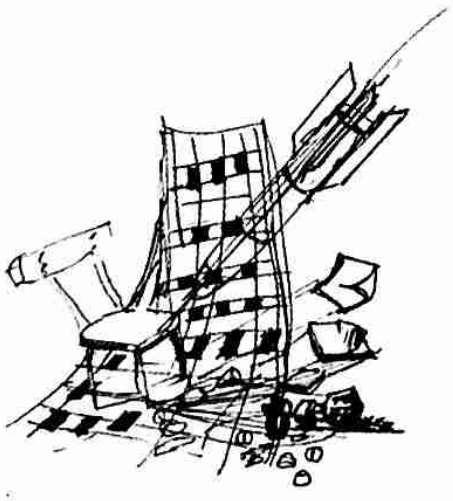

.....

جلس مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني إبَّان تأليف كتابه (حجاب المرأة المسلمة)، والذي أظهر فيه الشيخ رأيه بجواز كشف وجه المرأة.
وظل الشيخ متمسكاً برأيه، مقتنعاً بصراحة الأدلة في هذا الباب. ونشب لدى قوم بعض الجدل، دون أن يغيِّر الشيخ رأيه!
وتمسك الشيخ القرضاوي برأيه في كشف المرأة وسماع الموسيقى بضوابطها المفصلة في كتبه، فقامت الدنيا وما قعدت.
ورأى الشيخ مصطفى الزرقا توحيد رؤية الهلال في جميع الدول الإسلامية بالرؤية العينية أو المجهرية، فلم يتم التوقيع على اجتهاده.
ونادى آل محمود بالرمي قبل الزوال في اليوم الثاني عشر، فحوصر الرأي!

ومئات من الاجتهادات والآراء التي دعمت بالدليل، وقوة الحجة، ونصاعة الرأي، فاه بها علماءُ أجلاّء، لكنها لم تمر لا للقاصي ولا للداني!
ومرّت السنوات العجاف والسمان، وتبدلت الآراء، وفرضت الأقوال عبر الإنترنت والفضائيات، واستمع الناس للآراء العلمية، والاجتهادات المبنية على القواعد والأصول. وبدأت الاجتهادات الحقيقة تظهر!!

وما أهمَّ الراوي أن يبديه في عالم الفتاوى أن الأقوال الفقهية كانت محجوبة، وأن الاستماع لقول فلان أو فلان كان في عرف البعضِ موقعاً في الحرج الشرعي، مخرجاً لفاعله من دائرة الورع !!

وهو لا يدري أيهما الأصوب، ومن منهما الذي يملك آلة الاجتهاد.

وحضر مئات المجالس الصحوية والاجتماعية، فرأى الرويبضة يتكلمون بلا زمام ولا خطام.

وعندما يعود لمناقشة بعض العلماء المتبصرين، يجدهم في صف بين صفين، فلا يفتون بالجواز ولا بالحرام. إنما الفتوى هي (حَلاَم)!!!

وضاع جيل الأمة ونطق الرويبضة.

ومن بعد هذه المحن المستعصية، عزم الراوي على التبصّر في أدلة الكتاب والسنة، وملك أدوات الآلة، ليستطيع المناقشة والمحاورة وفق القواعد والأصول، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، بقدر ما أوتي من علم ومعرفة.

ومن بعدها لم يعب على الشيخ الألباني رأيه في الحجاب، ولا على القرضاوي رأيه فيه كذلك، ولا على الزرقاء في توحيد رؤية الهلال، ولا على آل محمود في الرمي قبل الزوال.

وهذه الأقوال أصبحت هي السائدة في عمل الأمة، والتي عليها فتاوى الهيئات والمؤسسات العلمية، وصار بعضها مطالباً به من العامة قبل الخاصة لاستنارة جملة منهم!

وما ضيّع الجيل، وجعلهم تمازيق إلاّ نظرية «حَلاَم» هذه !!

حج ولم يعد

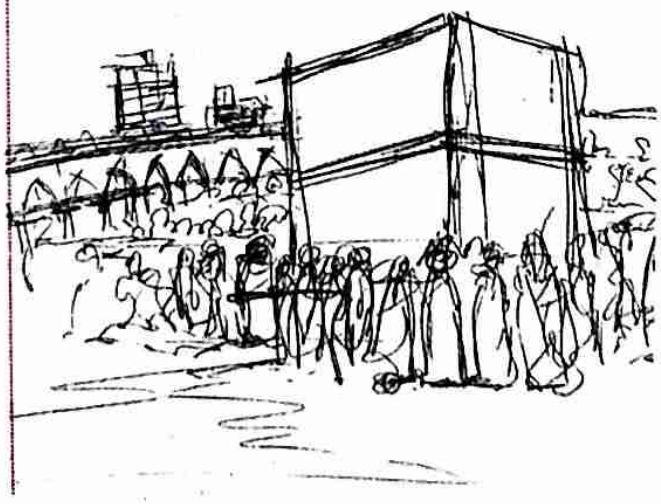

أكرمه المولى بأداء فريضة الحجِّ أعواماً عدّة.
وما إن يقترب هذا الموسم، حتى تسعفه الذاكرة بقصة الزمخشري الذي ترك أرضه وسافر إلى مكة للحج، وقد استغرقت الرحلة شهرين، فوصل إليها بعد الوقوف بعرفة، فأرسلت له زوجته (تماضر) تناديه بالعودة، فردّ عليها قائلاً:

قامت لتمنعني المسير تماضر أنّـــى لها وغـــرار عزمي باتر
شامت عقيقة عزمتي فحنينها رعج وعيناها السحاب الماطر

وهي لعمرو الله قطعة في (ركن التضحية)!
والزمخشري هو نفسه صاحب القصيدة الذائعة:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبُح به وأكتمه وكتمانه لِيَ أسْلَمُ
فـإنْ حنفياً قلتُ قالوا بأنني أبيحُ الطِّلا وهو الشرابُ المحرّمُ
وإنْ مالكياً قلتُ قالوا بأنني أبيحُ لهم لحمَ الكلاب وُهُمْ هُمُ
وإنْ شافعياً قلتُ قالوا بأنني أبيحُ نكاحَ البنتِ والبنتُ تحْرُمُ

وإنْ حنبلياً قلتُ قالوا بأنني ثقيل حلولي بغيضٌ مجسَّمُ
وإنْ قلتُ من أهل الحديث وصحبه يقولون: تَيسٌ ليسَ يدري ويفهمُ
تعجبتُ من هذا الزمان وأهله فما أحدٌ من ألسن الناس يَسْلم

وهذه القطعة يصح أن تكونَ مَعْلَمةً في فقه الائتلاف، ووثيقة للتعايش الدعوي، ومقدمةً لمفهوم التعددية الصحوية!

ويبدوا أن الراوي اكتوى من النيران التي أصابت الزمخشري، ولكنها تحولت -بفضل الله- برداً وسلاماً.

لذا لم يعد يرى أن الناس قادرين على التخويف والتهديد وتفريق الناس عن الدعاة وأهل العلم وأصحاب النبل والفضل.

ما عادت نفخة الفساد، تؤثر في زعزعة الضمائر، وتقليل جمهور المتابعين.

ما عادت غوائل النفس، ووساوس الصدر، وحبك القصص البوليسية لمنع الدعاة من درس أو محاضرة أمراً مجدياً!!

لم يعد أحدٌ اليوم يطيقُ أن يرهنَ نفسَهُ لخطاب تزكيةٍ بسلفية من انتخب من الشيوخ، أو صحة منهج من أراد من الدعاة!

لقد ولّى زمن احتكار تصنيف الناس، وأصبح المليء اليوم هو سيد الساحات!!

ومع هذا فلن يفيد المرء إلا إخلاصه، وموافقة قوله عمله، والسير على الجادة السلفية الأصيلة، وفتح شرارة الإبداع، والمخاطبة بلغة العصر، وطلب التسديد والمشورة. هذه خلاصة الراوي كما عثر عليها في إحدى مخطوطاته!!

وعادت الذكريات مرة أخرى لصاحبنا في موسم الحج، وهو يتذكّر موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة في حجة الوداع، عندما ذكرّهم برابطة الإيمان، ودوام ذكر الله، وأراهم طرائق الإنسانية في أبعد منتهاها.

ما بين (افعل ولا حرج) إلى (استوصوا بالنساء خيراً) إلى (فإن في ديننا فسحة) إلى (أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل) إلى (مناخ من سبق) إلى (هنا تسكب العبرات) ...

أياماً معدودات ... ولكنها حياة حقيقة، تصوِّر المنهج الإسلامي الشامل.
وكم أبكى قلبه وأسال دمعه الحالة التي يعيشها المسلمون المجتمعون في الحج.
إنه ينشد تجمّع الأمة واتحادها، وفق التفاهم والتعايش والتفاعل، مع التعددية والتجديد.
وحلم أنه سيصدر مجلة ومركزاً لا يهمه سوى هذا الأمر، وبه يلقى الله.
مركزٌ لا يحتوي على طوابق وبنايات، ويوزع أربابه الأدوار بلا مسئوليات.
بل هو مركز للعلم والعمل!
وسُئل يوماً عن ذلك فقال: نجمع المسلمين في مؤتمر الحج عبر قناة تسمى (الحج) وفي رمضان تحت قناة تسمى (رمضان).
فسأله عدد من الصحافيين عن هذه الفكرة. فقال: تابعونا!!
وهكذا طال شوق صاحبنا لحج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه، وسافر بفكره ولم يعد، لأن المنهج لم يعد!!

ابن بطوطة

كلما حلّ وارتحل، تحدث عن جمع الكلمة، وأدب الاختلاف، ومشروعية الاجتهاد، وحلّى كلامه بالآيات والأحاديث والأشعار وقصص السلف وروايات الخلف.
وصار هذا ديدنه يبني من خلال هذا الفكر مشاريع نهضوية صغيرة وكبيرة.
ورأى أحوال المسلمين في قاراتهم الخمس، فزاد وعيه أكثر وأكثر.
وما يحسب لنفسه من توفيق إنما لما هداه الله إليه من طول قراءته للسيرة النبوية، وبحثه الطويل في بطون التراث، ومعاصرته لكبار العلماء والمتخصصين والخبراء.
وتمنى لو فتحت الدنيا أبوابها - وقد فتحت - أن يحملَ المتفتحين الواعين الجادين من جيل الأمة بما لديهم من رواسب فكرية أو شوائب سلوكية في جولة، ليحدثهم عن حقيقة الدين وكيفية انتشاره....
فيخاطب جيل الشباب عن محمد الفاتح وهو معهم في تركيا، وعن جدهم الأكبر أبي أيوب الأنصاري، وكيف وصلوا إلى هذا المكان، وما الذي كان يشغلهم. حتى استطاعوا فتح الآفاق، ثم يمرّ على قبرص وهي قريبة فيحدث الأخوات الناشئات عن أم ملحان، التي ضحت لنشر رسالة الإسلام. ثم يعرّج بهم على ماليزيا فيجمعهم في صالة كبرى مع مهاتير محمد مدةً ربما تطول لساعات، وقد حضّروا لهم برامج (3D) عن خطط العمران الحضاري والإنساني.

سلفي في الكافيه

.....

ومن بعد هذه الجولة التي عاشها لحظة بلحظة وتمنى لو تحققت لأبناء جيله، خاطب جيله بلغة اليوم، وحدثهم بما هم متعطشون إليه.

فرقى المنبر، وألقى الخاطرة، ونشر الكتاب والشريط، ثم إنه حضر ندوات في الحضارة والإدارة والفن الأصيل، فهو إما محاضر أو مستمع، لا تخلوا مشاركاته أو مداخلاته من آية محكمة أو حديث صحيح، أو تأويل لابن تيمية، أو حكمة لابن الجوزي، أو استدلالاً بالمتنبي أو شوقي ....

وبحكم تخصصه يُظهر ما لديه من علم في الكتاب والسنة، وتَبصُّرٍ في المقاصد والمصالح، فيهدِّئ من حماسة المبتدئ، ويفكّ عقدة المتعصب، ويفسحَ المجال للعقل كيف يفكر بطريقة صحيحة.

ثم إنه في عام آخر أخذ نفس المجموعة الشبابية، وجعل هدفها فحسب زيارة كبار العلماء والزهاد والشعراء والخبراء في السياسة والفكر والعمران والإدارة في العالم الإسلامي، مع خلطها بزيارات للمتاحف والمآثر الإسلامية والحدائق الغناء إن سلمت الزيارة من كبير خدش.

وهو وإن كان يعلم أن البناء ليس في نزهة، إنما هو التكامل المعرفي، لذا فقد ترك منهجاً شاملا مناسباً لابناء جيله مبنياً على تطبيقات، يصلح تطبيقها في كل مدينة. وسيأخذ نفس هذه المجموعة الشبابية في مرحلة تالية، ينقلهم عبر القطار والسفينة، ويترك الطائرة

للضرورة، حتى يصلوا للقاهرة، ولم يَسمح لهم إلا بركوب الباصات و(الترومّاي)، فيروا احوال إخوانهم المسلمين امثالهم الصابرين الجادين العاملين المحتسبين لله رب العالمين، فيشكروا المنعم، ليضيفوا هذه الصورة مع صور إخوانهم الذين التقوا بهم في بلاد الغربة، وقد كان في البرنامج ان يجمع كل خمسة في بيت عائلة مسلمة مغتربة فيرى كل واحد منهم حفاظ ابنائهم على دينهم وتمسكهم باخلاقهم.

وقد يسمح الوقت فيمرون على الشام، ويجلسون في الغوطة ويلتقون بأهل الحديث ورقة القلب، ممن صفا معتقدهم، وطابت سيرتهم، ثم يعودوا إلى الديار، وقد تكاملت الصورة السلفية الرائعة مع المناهج الاصيلة التجديدية في العالم، ليعرف كل منهم أنه كان في بلد سلفي! لان السلفية ليست شكلاً ولا بلداً إنما حياة تكاملية لمنهج متكامل طبقت بعض مواده في بلدة، وطبقت اكثر مواده في بلاد اخرى!!

وبعد جولة البحث والدرس، تكون الرحلات القصيرة لوضع الخطط الذاتية لكل فرد، مبنية على ارقى المناهج العملية، لتكون الاستخارة الذاتية وركعتا الليل الجماعية احياناً مورداً لطلب التوفيق والسداد. ثم ستكون المشاريع البناءة على قدر الجهد والوقت والمال، فاستغفرَ الله كل منهم من سرف المال في المطاعم والملابس، وصار (الفتوش) الشامي و(الفول) السوداني و(الكبسة) الخليجية و(المحشي) العراقي، أكلات يتبادلها مرّة بعد مرّة، ليحفظ المال، ويؤسس مشروعاً يرتاده ابناء جيله، وربما تكون فكرة (حسن) جذابة عندما اختار مقهىً قبالة مسجد (التوابين)، ووضع بجانب المقهى صالونين، احدهما مبرَّد بتكييف العصر فترة الصيف تزخرفه الاشكال الإسلامية البديعة التي راها اثناء زياراته فالتقطتها كاميرته (الديجتل)، وصالون آخر مفتوح، تكييفه رباني فترة الربيع والشتاء، صمّمَه على طريقة اهل الشام تحيط به الازاهير العبقة. وسيكون ملتقاه بعد العصر احياناً في الكافيه بروّاده من الشباب فيدعوهم لعلم ومعرفة، عبر ابتسامة، وتسويق فكرة او شريط او دعوة لملتقى المساء، وبعد المغرب يستقبل رواد مدينته الصالحين فتكون جلسة نافعة ممتعة، ليعود بنا إلى جيل السلف الذين برزت مجالسهم بشتى العلوم من ارباب الحجى والتخصص.

ولربما نال هذا المقهى شهادة من وزارة الشؤون الإسلامية ووزارة البلدية كانا قد تحالفا على تسميتها بالقسمة (جائزة السلفي المبدع) فكان هو صاحبنا (السلفي في الكافيه).

ويحب العصفور

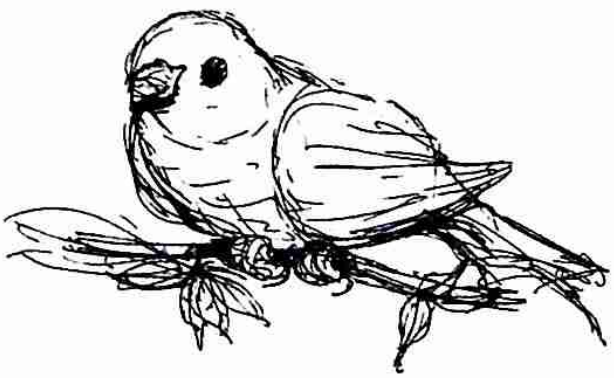

هل لأن العصفور ينتقل بخفة من فنن إلى فنن ؟
هل لأن العصفور يغني فهو يهوى الطرب ؟
هل لأن العصفور الكائن المسالم في عالم المخلوقات؟
هل لأن العصفور يحب أن يأوي إلى عشه؟
هل لأن العصفور يدخل بيوت الأغنياء والفقراء؟
هل لأن العصفور يتحرك بسرعة من مدينة إلى مدينة؟
هل لأن العصفور رقيق الخطو، رشيق، سهل، طيب؟
هل لأن العصفور يقف عند باب الزنزانة فلا يُمنع ؟
هل لأن العصفور يغدو خماصاً ويعود بطاناً؟
هل لأن العصفور خفيف فلا يرهق أحداً نفسياً ولا مالياً ولا بدنياً؟
هل لأن العصفور صديق للصغير والكبير؟
هل لأن العصفور يعيش قريباً من الناس وتحمله همته لأجواء الفضاء؟
هل لأن العصفور بسيط، طبيعي في الحياة، واضح السير؟
هل لأن العصفور لا يُخيف بصوته أحداً؟
هل لأن العصفور يعيش أحياناً في قفص؟
ربما يكون هذا وأكثر هو سر حبه للعصفور!

فهو يحب الحركة، ويرى وجوب الاستقراء لواقع الحياة، والسير في الأرض للتفكر، وليس لديه خصومه بين متطلبات الحياة وأشواق الآخرة، لذا فهو يحب الطرب السلفي الأصيل.

ويرى نفسه مسالماً كالعصفور، وإن تدخل أحدهم في عشه ثار وفار، ونقر بمنقاره من تعدّى على حماه، هكذا يرى نفسه، وعشه أمته!.

ويحب أن يكون نموذجاً للمسلم المنفتح المتفتِّح على الأغنياء والفقراء، والبسطاء والوجهاء لو فتحوا أبوابهم!

ولا يريد أن يتقيد، فهو ينتقل من مدينة إلى مدينة داعياً ناصحاً، وأحياناً مستنشقاً للهواء الجميل ولو في سويسرا، حيث يرى أن السفر للبلاد الكافرة لا يصح بشأنها حديث صريح يمنع.

وفي مشاركته لدى بعض المجالس الفقهية يحتفظ ببحوث سلفية جديدة أصيلة!

ويود أن يكون سهلاً، طيباً، رشيقاً في حياته (ملبساً، ومطعماً، ومسكناً) بلا كلفة.

ويتمنى أن يصل إلى كل زنزانة، يواسي المكلوم، كما وصل العصفور يبلّغ التحية!

ويهوى الحركة والانطلاق فيغدو خماصاً في العلم والمعرفة والتجديد، ويعود ليله بطاناً بالاطلاع ومثاقفة العاملين، وبناء الأفكار، وتتميم (الوقف) ليستمر العطاء!

ويعيش خفيفاً فلا يطرق باب أحد، ولا يستدين من أحد، ولا يستجدي عبداً من عباد الله ولو قطرة ماء!

ويربي أبناءه وتلاميذه أن ينزلوا للسوق، وإذا لم يقدروا فليطلبوا بلا كلفة ما يُنجح عملهم، ويكفيهم مؤنتهم، ضمن باب الحاجيات لا من باب الكماليات!

وبابه مفتوح لمن صنَّفَ نفسه أو صنَّفهُ البشر، يحاور ويناقش، وينصح ويوجه، ويؤيد ويدعم، ويستفيد ويستشير. فهو كالعصفور مع كل الناس.

ولذا فإنه يقترب من الناس فلا يعتزلهم، ويختفي هنيهة في أجواء الفضاء يرى من بُعد لينقد نفسه، ويوجه غيره. فينقل الخبرات، ويرمم الهفوات، ويحمل (صكوك) المشاريع التي يؤدلجها ضمن استراتيجية الدعوة.

وهو بسيط لأبعد درجة، طبيعي في الحياة، يحلف أنه ليس في قلبه إلا ما يقول به!

كما أنه كالعصفور أنيق ذوّاق، بل لربما ترتفع عنده قيمة النظافة والذوق اللفظي والشكلي بلا كلفة، كما زعم له يوماً مدرب محلل الخطوط والتوقيعات!!

ويرى أنه مبرمج السير، خطته مكتوبة، ويواصل مهما كلفه الثمن إلى النهاية، والله معه.

لذا فهو يكره العمل المبعثر، ويعتب على مؤسسات دعوية أُنشئت لم تتحمل أمانتها أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ، دون أن يسمي أحداً، أو يقسِّم أخطاءهم إلى مالية وإدارية ووعود بائسة!، وحلفَ بالله أن يغيِّر ما استطاع لتغيير هذا الحال الكئيب عملاً وقولاً!

ثم أنه بصوته لا يخيف أحداً، فلا يكتب ليشنِّع على أحد، أو يجتهد في مسألة فيساوي بآراء من قبله التراب!، ولا يُخطئ ابتداءاً على حيوانٍ متعمداً!

وقد تضطره الأيام فيعيش في قفص كما يعيش العصفور في قفص!!

ويطيب له حينها أن ينشد مع أبي الجود (أيها البلبل إنّا أخوان) ومع أبي راتب (صبراً أخي لا تبتأس)!

الوصية

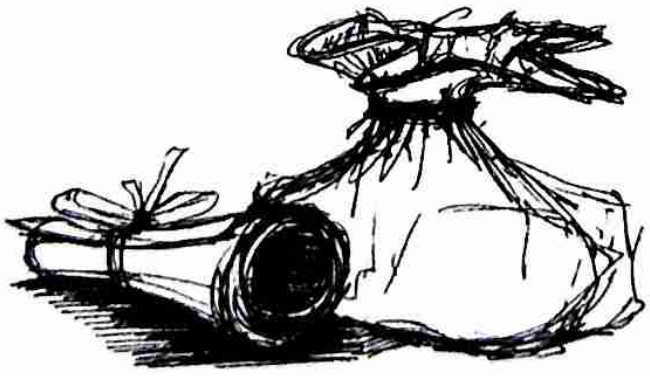

.....

كانت لحظات حزينة، والقوم يقرأون وصيته، ولكنها الرسالة التي لا بد أن تُفتح طال الزمن أو قصر!!

رسالة غالية، ليس لكونها دُبِّجت بخط جميل، أو صيغت بأسلوب بديع، أو طبعت على ورق أصيل، بل لانها خلاصة حياة في سطور!

ويقول من حصل على نسخة من الوصية، إن صاحبها خطب جمعة عن الوصية يتذكر منها:

«ما أحوج المرء في حياته إلى مؤمن صادق يوصيه فيما ينفعه في دنياه وأخراه.

فهذا ورقة بن نوفل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

(يا ليتني كنت فيها جذعاً إذا يخرجك قومك، قال: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، ما بعث نبي بمثل ما أرسلت به إلا عودي!)

وصعد النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة المعراج فقابل في السماء السادسة نبي الله موسى فقال له: (يا محمد، إني خبرت الأنبياء قبلك، واعلم أن الجنة قيعان، وان غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وهكذا وصّى ورقةُ رسول الله وصية أرضية (على الأرض) تنفعه في طريق الدعوة أن الصبر هو سبيل النصر. ووصّاه موسى عليه السلام وصية سماوية (في السماء)، أن استصحاب معية الله هي سبيل الثبات والظفر!

إن ورقَةَ بن نوفل، وموسى عليه السلام، قالا خلاصة تجاربهما، وأهم وصيتهما لنبينا صلى الله عليه وسلم في لحظة لن تتكرر. وهذه قيمة الوصية!!».

تلك بعض الكلمات التي يتذكرها قارئ الوصية من خطبة الراوي.

وما إن ختم هذه الكلمات، وإذ به يفتح وصية صاحبنا، والتي قال فيها:

إلى كل من قرأ وصيتي هذه.. أقول:

لم ينفعني في حياتي، ويؤثر في مسيرتي، ما لو استطعت أن اشتريه بأعز ما أملك لاعطيه لمن احب، مثل هذه الوصايا:

قال تعالى ﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن أحدكم عمل في صخرة صماء، ليس لها باب ولا كوّة لخرج عمله للناس كائنا ما كان). رواه احمد.

قال ابن الجوزي: «إخواني، اسمعوا نصيحة من قد جرب وخبر:

إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره يعظم قدركم، ولقد رأيت والله من انفق عمره في العلم إلى ان كبرت سنه فتعدى الحدود فهان عند الخلق، ورأيت والله من هو على صبوته، ولم يتعد الحدود، مقارنة بذلك العالم.

فعظّم الله قدر الصغير في النفوس، وألفته، ووصفته بما يزيد على ما فيه من خير».

قال محمد الغزالي: أحسن صلتك بالله، ثم انظر ما الله صانع.

في قصة محمود الزنكي الذي دعا الله في جنح الظلام بعدما اوشك الجيش الإسلامي ان يهزم، وقد بلل المطر الارض. فقال متمتما في دعائه: اللهم انصر عبدك محمودا الذي هو محمود الكلب!، فنصره الله.

فمن الذي نقل قصته هذه لنا، وهو قد تمتم بها دون أن ينطق، وفي ليلة مظلمة، وأرض طينية؟!

قال سيد قطب: إن البشر وهم يحاولون التخفي من الله بسر أو نية أو حركة في الضمير يبدون مضحكين، فالسر من امر الله، والنية التي يخفونها يعلم الله أين تستقر، والضمير الذي يخفونه هو الذي يعلم دروبه وخفاياه. فماذا يخفون، واين يستخفون؟!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

مانشتات

.....

• ثم سكنت نفسه قليلاً حينما تمتم بالرحمة وطلب المغفرة للمرحوم (محفوظ النحناح) عندما قال لقياديي الشباب في بلاده: احرصوا على المشاغبين من أبنائكم وأحسنوا رعايتهم، فإنهم الذين سيبقون معكم إلى نهاية الطريق!

• المهم أنه صح لديه العزم على أن يهتمّ بأبنائه في مرحلة طفولتهم بما لا يخطر على بال.

فلربما هزته زيارته لموريتانيا عندما رأى الأطفال الصغار الذين يحفظون القرآن والحديث والمعلقات، ولربما صُدم بمجلس شورى الأطفال في الشارقة، ولربما أبكاه موقف الطفل في المدرسة الأمريكية ... وربما وربما وربما .....

لقد بنى من هذه المواقف مرتكزاً لتربية أبنائه الصغار ليكونوا حُلُم الجيل القادم!

• نعم، لقد تغيّر البعض، وأدركوا أن الانغلاق على الذات، والاندماج مع من يعرفون، وحِرمان تلقي الثقافة من الآخرين، تسييج للفكر، وتركيب للولب العقلي!

حيث اكتشف من خلال المجالسة المتنوعة، والقراءة المتبصِّرة، مع ماحُبي

من هدوء في الحكم، ورويّة في التفكير، وسَبْر لما وراء الخبر، واستقراءٍ جيد لطبائع الرجال، أنّ عقول الناس متفاوتة، وليس هناك كبير في العلم، والروّاد نوادر، وقليل من يوافق عطاؤه جل عمله!

● وزعم صاحبنا أنه لو جمعت اجتهادات الشيخ بن باز المكتوبة والمسموعة، وطُبعت دون أن يبيّن قائلها، لعُدّ صوفياً أو خارجاً عن منهج السلف!

وختم صاحبنا المجلس مع أصحابه بقوله: الأزمة ليست في المنهج فهو واضح وضوح الشمس، إنما الأزمة في التعامل!!

ومع ما فهمه صاحبنا، فهو يقدِّر أن الدين ليس تلافيق ولا دروشة، ولا طقوس ولا طرطشة، بل هو تكاليف وأعباء، ولكل مقام مقال، وأبواب الجنة واسعة، وهي درجات، ولا يطيق أبوابها الثمانية إلا قليل.

● والغفلة كما يقسّمها الراوي على نوعين:

غفلة قلبية وغفلة عقلية!

أما الغفلة القلبية التي تُنسي الإنسان أنه ضعيف، ومحاسب على كل شيء. والغفلة العقلية التي تنسي الإنسان أن الشيطان يحب الفرقة والوحدة، لتطول الوحشة. إلى هذين المعنيين قصد المربي الذي يذيع الراوي بيته الشهير:

لحظة يا صاحبي إن تغفلِ ألفَ ميل زادَ بُعد المنزلِ

واستخرج الراوي حكمة لرجل من رجال السياسة والدعوة مفادها:

أن النفس تتوغل في تنفيذ ما تريد، لكنها حين تبلغ أقصى الأداء يكون الامتلاء بما رغبت وأرادت، فتغترّ وتميل إلى الضد المعاكس، ما لم يتجدد العطاء، وتتلون الطرائق.

● وما ضيَّع الجيل، وجعلهم تمازيق إلاّ نظرية «حَلاَم» هذه !!

● فلم يطق أحد اليوم البتة أن يفيده خطاب تزكيته للخلائق بسلفية من انتخب من الشيوخ، أو صحة منهج من أراد من الدعاة!

● لقد ولّى زمن احتكار تصنيف الناس، وأصبح المليء اليوم هو سيد الساحات!!

● أحسن صلتك بالله، ثم انظر ما الله صانع.

مسرد

فاتحة	6
الفؤاد الشريد	7
غيمة لم تمطر في قريته	11
على المرجيحة	15
رتوش	19
وتبقى الأرض دائرة	23
شيوخ جحا	27
أيهما وجد أولاً البيضة أم الدجاجة؟	31
وارتقى مرتقاً صعباً	35
نقطة .. من أول السطر	41
في صحبة الشيخ بن باز	45
لن يفعلها الشيخان	51
الفرزدق العلماني !	55
جار ومجرور	61
حَلاَمْ	67
حج ولم يعد	71
ابن بطوطة	77
سلفي في الكافيه	81
ويحب العصفور	85
الوصية	91
مانشتات	95

وعي للموقف . . تكوين للحدث . . صناعة للحبكة عبر ومضات شكلت في التئامها رسائل جادة لمسلم معاصر.

هكذا تسافر بك ذاكرة هذه الحروف المتوثبة إلى حيث كان الطريق (متفرقاً) . . إلى حيث بدأ التحول (التحاماً) . . إلى حيث بْدأنا نسير إندماجاً.

نترقب بلهفة قارئ نهم . . لحظة وحدة تتفوق على معاني الانقسام والتشظي.

أرادها المؤلف مشاعر قلب لتؤرخ لذكرى، تستوعب الألم وتصنع البداية . .

ولسان حالها يقول (ليت قارئها يعيد التأمل في وعيها الداخلي فهناك يكمن مفتاح الحل الذي نريد).

(سلفي في الكوفيه) . . محاولة غير مألوفة لحالة إسلامية . . (باتت مألوفة).

يحملك المؤلف إلى حيث الأماكن مسافة نجاح . . شعلتها تتنوع في ذواتنا . . تتقاسمها الهموم الأولى ووهج تقدمها (أبناء صحوتنا المباركة) يسكنون الإختلاف! ليعيد إليك في لحظة (صدمة) سر العودة الذي نحمله بين أيدينا . . لكننا نجهله!

هو هكذا . . أخي الحبيب الدكتور علي بن حمزة العمري . . قلب بحجم وطن . . يعيش فيه كل مسلم . . بتنوع همومهم وأطيافهم وأحلامهم . . من هذا القلب ارتوت سيرة هذا الحرف الذي أفاض علينا بعض أناته . . لتصف لنا أحلام سلفي معاصر.

وفقه الله وسدد على درب الخير خطاه.

أنور بن على العسيري